Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 31:3 (1995

التربية الإسلامية والتحديات المعاصرة

أبوالقاسم أحمد رشوان

مقـدمة:

يكاد يكون متقاربا ـ عند الناس جميعا ـ ما يسبغونه على عصرنا هذا من نعوت، فهو عصر التقدم العلمى، والإنفجار المعرفى، والإنجاز السريع المتلاحق المتغير، التسابق الهائل بين الأمم فى التقدم والتطور، والابتكار والإبداع. فماذا كانت وسائل الشعوب المتقدمة لتحقيق ما أنجزت، والوفاء بما وعدت؟ ليس لهذا التساؤل من جواب غير جواب واحد، هو الإنسان. ولكن أي إنسان هو؟ ما رتبته؟ وكيف نشأته؟ وكيف أدبته، فأحسنت تأديبه؟

من ينظر فى تاريخ الأمم المتمدنة، وحضارات الشعوب المتقدمة، ومقومات نهضتها، وعوامل رقيها، وأسباب تقدمها، وازدهار صناعتها، وغلبة منتجاتها، ورجحان كفة مبيعاتها، وكثرة صادراتها، وندرة وارداتها، ويوازن بين ذلك وبين ما كانت عليه قبله، متلمسا الأسباب الحقيقة الكامنة وراء هذا التقدم، فإنه لا يجد لذلك سببا غير التربية الشاملة التى تحرص على تزويد المتعلم بالحقائق

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

والمعارف والمفاهيم، والقيم والميول والاتجاهات، والسلوكيات والمهارات، ليكون قادرا على المشاركة الفعّالة، والحركة الواعية التىتستهدف تنمية المجتمع فى جميع جوانبه، وعناصر مقوماته، البشرية، والإجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والسياسية.

ولا تكون هذه التربية الشاملة إلا بتوفر المناخ المناسب لتربية عقول الناشئة ونفوسها، تربية دينية وخلقية وعلمية، ووضع الخطط والمناهج المطورة المناسبة لتدريب المتعلمين على مواجهة مشكلات الحياة من خلال المواقف التعليمية المثمرة، والخبرات الحياتية المتنوعة، واستثمار أقصى مالدى مخرجات التعليم من قدرات علمية وعقلية، لمواجهة التغيرات السريعة، والتحولات المتلاحقة، والاحتمالات المستقبلية، ليكون أبناؤنا قادرين على مواجهة زمانهم الذى خلقواله. وذلك عن طريق تنمية الجوانب الروحية والوجدانية، والعقلية والجسدية، التى تستهدف إعدادهم للإسهام في تنمية المجتمع، وتطويره، وتحديثه، وإقدارهم على مواجهة احتمالات المستقبل وتحدياته.

أهمية المنهج:

لعل من أبرز السمات التى تميز الإنسان من غيره قدرته على التخطيط والتنظيم والتنظير، وحاجته إلى ذلك، فهو بدون تخطيط ما لحياته لايستطيع أن يسيّر أمرا من الأمور؛ ويختلف التنظيم حجما ونوعا، وقصورا وشمولا، وضيقا وسعة، من فرد إلى آخر، ومن

جماعة إلى أخرى، حسب أهمية موضوعه من ناحية، وحسب دقته، وتقدم الجماعة المخططة له من ناحية أخرى.

ومن أخطر أنواع التخطيط والبناء ما يتعلق بالتنشئة والتربية وإعداد الأجيال، وإشباع حاجياتها الروحية والعقلية والاجتماعية، بما يكفل لها استمرار النمو فى هذه النواحي. وفى هذا الإعداد مراحل محفوفة بالمخاطر، توجب الدقة والتروى والتشاور فى اختيار ما يقدم للمتعلم من مفردات المنهج التعليمى الشامل.

مفهوم المنهج:

١- ظل المنهج فترة طويلة يطلق، حين يذكر ـ على مادة دراسية، أو مجموعة من المواد، أى المحتوى المعرفى للمقرر الدراسي، وكان الهدف إمداد المتعلم بأنواع شتى من المعارف الإنسانية التى أنتجتها العقل البشرى فى مختلف العصور، وهى مقصودة لذاتها دون اعتبار لمدى جدواها الوظيفية، أو فاعليتها من الحياتية، وما تحدثه، أولا تحدثه، من تغيير وتعديل فى مسارات السلوك الآنية والمستقبلية.

٢- لكن التقدم العلمى العام، وما صحبه من دراسات متنوعة كشفت عن سلبيات المفهوم القديم للمنهج، وبيّنت أن العلوم والمعارف جميعها يجب أن تكون فى خدمة الإنسان، وأن ميادين هذه الخدمة هى حاضر الإنسان ومستقبله، وعلى هذا فإن الإطار العام للمناهج لابد أن يكون وظيفيا يركز على تكوين الإنسان عقليا، ودينيا، وروحيا ونفسيا، بما يجعله عنصرا فاعلا فى تعديل حاضره وصنع مستقبله.

لم يعد مفهوم المنهج منصبا على المادة الدراسية، والإهتمام بالناحية الذهنية، والانفعالية، والاجتماعية، بل شمل جميع أنواع المناشط التى يقوم بها المتعلم، والخبرات التى يمر بها تحت إشراف المؤسسة التعليمية وتوجيهها[١]. بقصد إحداث تغييرات معينة فى السلوك والاتجاهات التى تحددها الأهداف التعليمية. وهذا المفهوم الشامل قد تبعه توسع فى مفهوم دور المؤسسات التعليمية، والمادة الدراسية، وعلاقتها بالمواد الأخرى، والتنوع فى مصادر المعرفة، ومهمة المعلم وأنواع المناشط التى تقدم، والتي يفترض فيها أن تلبي كل حاجيات المتعلم وتشبع ميوله، وتوجه سلوكه.

٣- إن محاربة الجهل هدف إنساني ودينى واجتماعى منذ أن استقرت الحياة على ظهر الأرض، وتكونت الجماعات والشعوب والقبائل للمعرفة، بل منذ أن علم الله آدم الأسماء كلها، وفى قوله تعالى: ﴿**وعلّم آدم الأسماء كلّها**﴾ منهج تعليمي شامل لكل أنواع العلوم والفنون شيئ فما من موجود أو سيوجد إلا وله اسم، والذى لا اسم له، لا وجود له. فهذه الجملة القرآنية تساوى "وعلّم آدم العلوم كلها".

وكلما ارتقت الجماعة اتخذ السعي لتحقيق هذا الهدف الربانى أشكالا مختلفة، وتعددت الجماعات التى تطالب بتوسيع نطاقه. وهذا هو معنى الشمول الذى تطالب به المناهج الحديثة، والذى يتم عن طريقة "التغيير الاجتماعى المطلوب تحقيقه لتكوين الإنسان القادر على ترجمة أهداف مجتمعه وآماله"[٢].

٤- ولما كان التعليم مرتبطا بالحياة ومستلزماتها، والأحياء ومتطلباتهم، وكلا منهما دائم الحركة، كثير التغيير، فإن ملاحقة هذه الأسماء التى علمها اللّه عبده آدم، واستمرار استحداث صيغ وأنماط جديدة من التعليم على أسس علمية مدروسة، أمر ضرورى لإيجاد نوع من التعليم أرحب زمانا، وأبعد مرمى، وأكثر قدرة على تزويد المتعلمين بما يعدهم للمشاركة فى التنمية ومواجهة التحديات، وغير ذلك من مقومات حياتهم[٣].

التحديات المعاصرة:

١- ثورة الاتصال: شهد عقد الثمانينيات من هذا القرن ثورة كبيرة فى عالم الاتصال، جعلت العالم كله منفتحا بما فاق كل تخيل، وفتحت آفاقا من المعرفة والعلم يسرت التصرف والاطلاع على ماكان يعتبر يوما من الأيام من أدق أسرار الدول، فلم يبق بعد ثورة المعرفة والاتصال خفاء، كما لم تصبح هناك عزلة.

٢- التحولات الاقتصادية: كذلك شهد هذا العقد الأخير تغيرا كبيرا فى النظريات الاقتصادية التى كانت تحكم اقتصاد العالم، فلم تعد المفاهيم التى كانت ـ إلى وقت قريب ـ من أدبيات الاقتصاد ودعائمه الثابتة بقادرة على مواكبة ما جد على الحياة الاقتصادية بشكل عام.

ونتيجة لما حدث فى العقدين السابقين من طفرة اقتصادية، اتسع سوق العمالة، وتنوعت فرص العمل، وكثرت الهجرات الداخلية والخارجية، فنتج عن ذلك اختلاط الاجناس والثقافات،

والعادات والتقاليد، والقيم والميول والاتجاهات والرغبات والتطلعات، مما كان له أثر واضح فى أنسجة المجتمعات، وتراكيبها السكانية[٤]. وهذا الذى حدث فى السنوات الماضية كان شديد الوقع، كثير التغير، لذلك فإن محاولة التنبؤ بما يحتمل حدوثه فى القرن الجديد أمر حتمى.

٣- التغييرات السياسية: أما فى الجانب السياسى فإن أحداث أوروبا الشرقية، وما ترتب عليها من تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية، ستنعكس علينا، وعلى العالم، وتفرض تحديا جديدا. كذلك الاندماج الأوربى الذى سيشهده هذا العقد، وستذوب داخله ـ بالتدرج ـ الصلاحيات السياسية لمجموعة من الدول المستقلة، وهو اندماج يقوم على إحلال المصلحة الاقتصادية محل العوامل الأيديولوجية والعسكرية التى أفرزها الصواع الطويل بين المعسكرين الكبيرين، فنحن أما عالم جديد، سوف تتعدد أقطابه بتعدد المصالح، وتتجرد العلاقات الدولية مما كان يحكمها من تكتل ونزاع تقليدى، ومن ثم تزداد حدة النزعات القومية والعرقية، وتظهر حاجة الناس إلى التعبير عن هويتهم وذاتيتهم، كما هو واضح فى بعض البلدان، وتلك تحديات أخرى لابد من وضعها فى الحسبان[٥].

ونستطيع أن نتلمس مما تقدم حجم التحديات المنظورة وخطورتها، ناهيك عما تفرزه الحياة المعاصرة من منجزات سريعة متلاحقة، تبدو لسرعتها وقوة صدماتها وكأنها زلزال يهزّ كل شيئ،

ويفوق كل تصور، ويعيد النظر فى أدق الحسابات وأحكم المخططات.

الذاتية الإسلامية وتحدياتها الخاصة:

وهذا الذى ذكرنا هموم عامة، تفرض على المجتمع الإنساني كله مواجهتها، أما الأمة الإسلامية فلها، بجانب ذلك، همومها الخاصة المنبثقة عن ذاتيتها وخصائصها الثقافية والحضارية، وموارثها التاريخية، وظروفها الجغرافية، ومشكلاتها الاجتماعية، وآمالها فى التقدم والازدهار، والتماسك والتلاحم، ونبذ الخلافات العرقية، وتحرير النفس، وتطهير الأرض، وفى ضوء ذلك يمكن أن نصطنع لأنفسنا عددا من المحاور الكلية التى تندرج تحتها مشاكلنا الكبرى التى تواجه الأمة.

١- التحدي السياسي الإسلامي:

إن كثيرا من الأمم التى استقرت هياكلها الأولية فى أشكال الحكم، ونظم الاقتصاد، نستطيع ـ انطلاقا من هذه الثوابت ـ أن تتنبأ بما قد يكون، تأسيسا على كائن ارتضته جميع فئاتها، لكن التنبؤ الإسلامي لاستشراف المستقبل محفوف بالمخاطر؛ لعدم دقة المعايير العلمية التى تقاس بها احتمالات المستقبل، ولعدم استقراء كثير من المقومات التى تعد ثوابت أولية.

ففى مجال السياسية لم يستقر المسلمون على شكل من أشكال التناسق السياسى، أو اختيار واحد من التوجهات الثلاثة، وهى تكريس الكيانات القطرية، أو المحاور الإقليمية، أو إحياء المشروع

الإسلامى الوحدوى الذى يبدو ضرورة حياتية فى ظل التغيرات والتكوينات الجديدة التى قد يشهدها القرن القادم، وعلى الرغم من ضرورة هذا المشروع فإنه يأتى فى ذيل التوجهات السياسية الإسلامية[٦].

٢- التحدي الاقتصادي:

أما فى المجال الاقتصادي، فقد وجدت بعض الدول الإسلامية ـ النفطية منها بخاصة ـ نفسها فى بدايات العقد الماضى فى وضع اقتصادي متميز الطفرة المالية الكبيرة التى مرّ بها سوق النفط، والتى احدثت تبدلا فى المستويات المعيشية فى الأقطار المصدرة له، وفى أقطار إسلامية أخرى، نتيجة المساعدات النفطية، وعائدات العمالة المهاجرة، وقد بدأت هذه الدول تعاني أزمات مالية حادة، بعد تقلص العائدات، وتوقف المساعدات، مما اضطر الدول النفطية نفسها إلى الإنفاق مما كدسته فى ودائعها خلال فترة الازدهار النفطى، وأحدث ذلك اضطرابا فى ميزان مدفوعات بعض الدول، وأكداسا من الديون الخارجية لدى بعضها الآخر. وكل ذلك يحكم العلاقات الإسلامية بنوع من التبعية الخارجية.

ومما يضاعف من حدة المشكلات الاقتصادية فى العالم الإسلامى أن بعض الدول لم تستطع أن تتراجع عما قدمته من خدمات اجتماعية، كما أن الجيل الذى استقبل فى بداية حياته مستوى معيشيا خاصا ليس لديه أدنى استعداد لتقديم بعض التنازلات، لذا فإن العالم النفطى سيواجه القرن الجديد وهو مثقل

بالتبعات والأعباء الاقتصادية، كذلك التكدس البشرى الذى حدث نتيجة الهجرات الداخلية التى تركزت فى المدن الكبرى، حول مواقع الأعمال، مصادر الأرزاق، مما أصاب هذه المدن يعجز فى الخدمات العامة، وفقر شديد فى الإنتاج الزراعي والصناعي. وإرهاق الموارد، وتبدل الموزنات العامة، حيث استأثر الاستيراد بالنصيب الأوفى.

٣- التحدي الإعلامي:

لعل أخطر ما تواجهه الأمة من تحديات، التحدي الإعلامي ممثلا فى وسائل الاتصال المختلفة التى تنقل أفكارا،ومعلومات، وثقافات، وتقاليد، وعادات لأمم أخر، مما قد يؤدى إلى السيطرة الأجنبية، والتبعية الفكرية، سواء فى ذلك ما يقدم من إعلام، أو ما يتسلل من أفكار، أو ما نجده فى بعض بلدان الغرب من تركيز على تشويه صورة المسلم، وإظهاره فى صورة الجشع الشرّ، المتصف بكل ما ينفر منه الرجل الأوربى، من تخلف وبداوة وإرهاب، وانحطاط، فى العادات، وانحراف فى السلوكيات، وتدن فى الأخلاقيات(٧).

وكان من جراء تسرب هذه العادات الوافدة ظهور بعض التحديات الأخلاقية والاجتماعية، كانتشار المسكرات والمخدرات والمغيبات، والانحرافات السلوكية بشكل عام. من مثل: التسبب، وعدم الانضباط، والهروب من تحمل المسئولية، مما أدى إلى ضعف معدلات الإنتاج فى قطاعات بعض دولنا، ونتج عن هذا الضعف تحد

آخر، هو قلة فرص العمل أمام الأيدي العاملة فى كثير من بلاد المسلمين.

وسوف يستقبل ميدان العمل فى القرن القادم أعدادا كبيرة من هذه الأيدي العاملة، فإذا سارت فرص العمل بمعدلها البطيئ المتراجع، واستمرت مخرجات العمالة بمعدلاتها المتزايدة، فإن تباينا حادًا سيحدث بين العرض السخي، والطلب النادر، مما يترتب عليه ضغوط اجتماعية هائلة وتبعية، وهجمات إعلامية وثقافية حملت إلينا كثيرا من الأنماط السلوكية الدخيلة التى عمقت الازدواجية الفكرية والاجتماعية.

أهداف التربية:

إن أهم ما تهدف إليه التربية الحديثة هو العمل على إعداد أفراد قادرين على المشاركة الفعّالة فى بناء المجتمع من ناحية، والانطلاق به إلى آفاق المستقبل من ناحية أخرى، ولا يكون ذلك إلا بإعداد المتعلم إعدادا خاصا يقوم على تقصي الواقع الحياتي، وتحديد قدرات الأمة، وإمكاناتها، وظروفها، واستبطان ماضيها، واستشراف مستقبلها، وما فى كل من معاونات أو معوقات، ليكون البناء كاملا فى جميع نواحيه، قائما على الثوابت الدينية، والمتغيرات الحياتية، والمتطلبات العصرية والمستقبلية، وحاجات الأفراد، ومطالب النمو، مما يملأ الهيكل المنهجي بالقوى الروحية، ويجعله مزيجا من الأصالة والمعاصرة، ويكسبه مرونة تستوعب مفاجئات المستقبل، ذلك أن المنهج التربوي بمفهومه الشامل، وروافده

المتنوعة، هو الإطار العام، والسبيل القويم، لإعداد الناشئة، وتهيئته للتفاعل مع الواقع، وتعديل مساره، واقتحام صعابه، والتنبؤ العلمى باحتمالات المستقبل، والتأثير فيه، وصنع مقوماته، وتشكيل معطياته(٨).

التربية الإسلامية:

كانت تربية الأبناء ـ ولاتزال ـ الشغل الشاغل للأفراد والجماعات منذ بدء الخليقة، فالعرب ـ مثلا ـ اهتموا، منذ الجاهلية بتربية أبنائهم التربية التى أرادوها لهم، ونجح إعدادهم نجاحا ارتضوه فى أغلب الأحيان، فى ظل مقومات مجتمعهم الزمانية، والمكانية، وأطره المادية والروحية، وحاجات الناس وتطلعاتهم، وكانت البوادي العربية بمثابة الحواضن التى تستقبل من يبعث به أهله، وهو لا يزال فى المهد صبيا، فتنشئه النشأة الأولى، عربي اللسان، ثبت الجنان.

وحين جاء الإسلام ملأ هذه الهياكل، وتلك الأطر المادية بالقوى الروحية، والعقدية، ووجه مساراتها وجهة ربانية، فرأينا من الرجال ما رأينا، رأينا رجالا فى صورة أمم، كان كل واحد منهم أمة فى فعاله، وكانوا جيمعا نسيجا فى أمة واحدة، وما كان ذاك إلا بتعميق الإيمان، وتمكن القيم التى شذبت النفوس، ونفخت فى الروح، وعدلت المسار، ودلت على السبيل، وسارت نحو أهدافها الواضحة، فزلزلت جزيرة العرب زلزالا شديدا، وأخرجت رجالها إلى كل مكان، تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتنشر العدل والحب والسلام، وتسهم فى صنع مستقبل أفضل.

كانت عناية التربية الإسلامية بالإنسان عناية فائقة، لم تترك جانبا من جوانبه إلا أشبعته بما يضمن له التوازن الطبيعي بين جوانبه الجسدية والعقلية والروحية والأخلاقية، وظلف الأمة الإسلامية والشرق بعامة فى موقع الصدارة من حضارات الأمم، طوال حرصها وعنايتها الأنماط التربوية التى ارتضتها، والتى ترتبط بها حياة الأمم ارتباطا اضطراريا، وحين اختل ميزانها التربوي، وضعفت تخرجاتها ضلت سبيلها "فأخذت تقلد الأمم الأخرى فى ثقافاتها، وأساليب تفكيرها، ومناهج التربية والتعليم فيها، وأخلاقياتها، ونظمها وقوانينها"(٩)، واخطر ما تستعيره أمة من الأمم، واشده تشويها للذات، هو مناهج التربية والتعليم، وتقليدها والاقتداء بها فى كل شئ، والتأثر والاهتداء أمر مشروع، بل هو روح الحياة الإنسانية، أما الاقتداء فتبعية عمياء وضلال مبين.

لابد إذن من العودة إلى قيمنا الروحية والخلقية، لأن ما حققه العلم من منجزات، وما أفرزته الحياة المعاصرة من سلبيات وتحديات، لايمكن مواجهته إلا بنوعية خاصة من المخرجات التربوية يقوم إعدادها على تنقية العقيدة من الزيف والزيغ والضلال، والتعصب والتحزب، وتطهيرها من كل ما يعوقها، لتكون قادرة على تحريك الأمة تحريكا يحفظ لها ذاتيتها وخصوصيتها، ويعيدها إلى فطرتها الأولى داعية إلى الخير، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر. تتعاون على البر والتقوى، وتتواصي بالحق والصبر والحب والأخوة والمساواة بين بنى البشر، ونبذ التفاخر والتعصب والتنابز فإن كثيرا

من التحديات الحياتية لا يمكن علاجها ومجابهتها إلا بشحنة دينية تنمى فى وجدان المتعلم. فانتشار الفواحش والمنكرات أمر مدمّر لحضارة الأمة، هادم لأخلاقياتها، مؤذن لزوالها وانهيارها، ولا يمكن التغلب عليه إلا بمجاهدة النفس والهوى، ومقاومة المغريات، وتكوين اتجاه نحو فعل الخير، واجتناب الأذى، والبعد عن كل ما يشين، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والدعوة إلى الخير، لارشاد الناس وتذكيرهم، وبيان الضرر، والتنفير من مسببات الأمراض العصرية الخطيرة، وعلاج هذه المشكلات الحياتية، والانحرافات السلوكية، والأدواء العصرية، لا يكون إلا بأساليب تخاطب العقل والقلب، والعاطفة والضمير، لاجتناب ما يمس العقل أو يضعفه، أو ما يصيب الجسم، أو ينال من كرامة الإنسان، وليس هناك ما هو أقدر على التصدي لذلك من قيمنا الدينية المتوارثة.

إن من ينظر فيما خلفه الأجداد، وفيما دعا إليه القرآن الكريم، والحديث الشريف، يجد أن التوجيه التربوي قد شمل كل مظاهر الحياة، وحثّ على طلب العلم والتعلم، وعمارة الأرض التى استخلف الله الإنسان فيها ليعمرها بطرق وأساليب شتى مثل الزراعة والصناعة والتجارة، كما حثّه على الإتقان والإبداع، ودلّه على مواطن الثروات، وسبل الأرزاق، لذلك لابد أن يحرص كلّ تخطيط جاد على مراعاة المستوى الإسلامي، وإطاره التنظيمي والفكري، والحضارة الإسلامية فى امتدادها الزماني والمكاني، وتكاملها الموضوعي؛[١٠] وذلك لإشباع الحاجيات النفسية والروحية والاجتماعية، واكتساب القيم

الدينية التى تحمي من كل سلوك معوج، وتعد الناشئ إعداداً يجعله قادراً على تحقيق ذاته، وطموحات أمته.

القيم الإسلامية ومواجهة التحديات:

إن من ينظر فى آي الذكر الحكيم، وفيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال يجد فى كل آية وفى كل حديث كمًّا قيميًّا يصلح مقوما من مقومات الحياة، وقد قام النبي وأصحابه بترجمة هذه القيم النظرية على سلوك حياتي عملي، لأن هذه القيم التى أشرنا إليها لا يمكن أن تفعل فعلها إلا إذا عملنا على تأهيلها بكل ما ينمي حب الأمة، والاعتزاز بماضيها، والثقة بقدراتها على تجاوز الصعاب، واقتحام العقبات، والتمسك بالخلق الإسلامي القويم، والاعتزاز بما خلفه السابقون من قيم إنسانية، وعادات حسنة، والتمسك بالانتماء إلى جماعتها عقلا وقلبا وسلوكا، والإيمان بأن قدراتها الكامنة، واستعدادتها الدائمة لا حدود لها، وأن ورثة العظماء لابد أن يكونوا كذلك إذا هيئت لهم ظروف الاختراع، وأسباب الإبداع وفرص الكفاح الجاد.

ومما يجدي نفعا فى هذا الصدد التعرف على رجالات الأمة، فى مختلف العصور وشتى المجالات، وسيرهم، ومواقفهم، لضرب المثل، وتقديم النموذج، والموقف والحدث، بما يحقق الأسوة والقدوة، ويجتث من النفوس الهوان والضعف، لما تفرغه علينا سيرة عدد من أبطال المسلمين الذين دافعوا عن الأمة، ورفعوا شأنها فى

ميادين الحياة المختلفة، وفى هـذا مـا فيـه مـن النفـع، حيـث يتجـاوز التعبير المباشرة إلى التأسى والاقتداء بما كانت عليه الأمة(١١).

كذلك لابد من تدعيـم التواصـل بيـن الأجيـال المتعاقبـة عـن طريق المواءمة بين القديم والجديد من خلال ممارسة فنـون ومناشـط الأجداد بأسلوب حديث، والاعتزاز بالنشاط البشـري الإسـلامي عـبر الأجيال، وبما تقدمه أوطاننا فى الحاضر ـ قدر الطاقة ـ مـن خدمـات فى مجال الحيـاة بشـكل عـام، ممـا ييسـر الحيـاة، ويجعـل المواطـن فخورا بما يقدم له، ومن ثم ينمـو فـى قلبـه حـب الوطـن الاسـلامي، ويتأصل فى وجدانه، بما يجعل القلب والعقل يعملان معـا فـى اتجـاه واحد، تتحد فيه العقيدة والمصلحـة، والنفـع والـولاء، فينبثـق التوجـه العام من بؤرة المواطنة الدينية الصالحة، ويصـب فيهـا أيضـا، وتتسـع الدائرة لتشمل الأمة الإسلامية كلها، تاريخا وثقافة وحضـارة، ماضيـا وحـاضرا أو مسـتقبلا، لتمتـد إلـى الأخـوة الإنسـانية فـى كـل مكـان وزمان.

إن التركيز على القيم الروحيـة والخلقيـة وتنميتهـا فـى نفـوس الناشئة ووجدانها يكسب هذه الأنفس البشرية قوة جبارة قـادرة علـى العمل المنتج فى شتى ضروب الحياة، وعناصرها الأخلاقية، والعقلية، والروحية، والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، وهي عنـاصر تشـمل النواحي المعنوية والمادية والتنظيمية.

وسوف نذكر فيما يأتى عددا من القيم التى يجب أن نحـرص على تنميتها لمواجهة الصعاب، من ذلك تكوين اتجـاه إيجـابى لـدى

المتعلم نحو الإيثار، وروح الجماعة، والعمل على وحدة الأمة وتماسكها، ونبذ أي مصدر من مصادر الفرقة والاختلاف مهما كانت دوافعه، وتنمية الميل إلى التقارب بين فئات المجتمع بما يكفل قدرا من التلاحم والتكاتف عن طريق العدل والإحسان، وحسن المعاملة، والتسامح، وحب الناس، والحرص على ما ينفعهم، ودفع الضرر عنهم، والابتعاد عما يؤذيهم، وغير ذلك من البذل والعطاء.

كذلك ضرورة العمل على استشعار أسس العلاقات الإنسانية فى مفهوم العقد الاجتماعي الإسلامي، وهو قيام العلاقات والصلات الاجتماعية على التعاطف والتراحم، والمودة والحب، بحيث لا تكون المصالح المادية النفعية هى العامل الحاسم فى العلاقات الاجتماعية، التى يجب أن تقوم على الروابط المعنوية والإنسانية، بين الفرد ومجتمعه، وبين المجتمع وأمته، وبين الأمة وغيرها من سائر الأمم، فى ظل العدالة الاجتماعية، والمساواة فى الحقوق والواجبات، وإعطاء كل ذي حق حقه، وعدم الاعتداء على حقوق الآخرين، أو التقليل منها، فى أي شكل من أشكالها، أو أنواعها، أو درجاتها.

وتبدأ هذا القيم الاجتماعية، كما بدأها المنهج الرباني، من تنظيم العلاقة بين الزوجين، والآباء والأبناء، والأخوة والأخوات، ليستمر الترابط والتراحم الأسرى بين الأجيال المتعاقبة، وتتسع الدائرة لتشمل القرابة الخاصة من ذوى الأرحام التى جعل الله تقطيعها بمثابة الإفساد فى الأرض، وكذلك القرابة العامة بدرجاتها المختلفة،

والجوار والمصاحبة وغير ذلك مما يسود المجتمع من علاقات وعادات وتقاليد تنعكس على حياة المتعلم، وعلى علاقته بالآخرين(١٢).

وهذه التربية الاجتماعية تؤهلنا لتفهم المجتمع الإنسانى بشكل عام، والتعرف على مكوناته وقضاياه ومشاكله، تعرفا يجعلنا قادرين على المساهمة الواعية الجادة فى حل المشكلات الاجتماعية بقدر ما تسمح لكل منا ظروفه، وطبيعة موقعه، كما تجعلنا قادرين على مواجهة التحدي الثقافي، والتكنولوجي، والاقتصادي والسياسي، وتكسبنا القدرة على التخطيط للمستقبل.

وفى هذا الميدان الاجتماعي تتولى المعتقدات الدينية تنظيم القيم التى تحدد الغايات الكبرى، وترسم شكل السعادة البشرية، لأن المطالب الحياتية تمثل جانبا واحدا من جوانب السعادة البشرية، أما النظام القائم على الإيمان العميق فإنه قادر على ضبط الميول، وتنظيم القدرات، وتسخيرها طائعة مؤمنة، معتقدة أن العمل بجميع جوانبه عبادة، وأنه استجابة لأمر خالقها، وذلك يتيح للطاقات البشرية أن تعمل فى أمن وأمان.

كذلك لابد من الحرص على تنمية القيم الدينية التى تتعلق بتربية الذات، وعلاقاتها الاجتماعية، والإنسانية بشكل عام، كمنح المتعلم الثقة بالنفس، والابتعاد به عما يحبطه، وإزالة أسباب القلق والاضطراب النفسي والاجتماعي، وإحلال الهدوء الوجداني والاطمئنان الروحي، والاهتمام بتربية السلوك العام الذى يجعله

يحرص على الناس والاشياء والممتلكات والمرافق العامة، ويدرك دلالة كل ذلك إنسانيا وحضاريا ودينيا[١٣].

ولابد أيضا من تكوين اتجاه عام نحو الحرص على التجديد المستمر للمعارف العامة والمعلومات،والإلمام بالأحداث المحلية والعالمية، والتفاعل مع ما يجري فى البيئة وخارجها، مما يؤدي إلى مزيد من الوعي، ومزيد من القدرة على التكيف الاجتماعي، والاتصال بالعالم الخارجي، على أن تسير عناصر التقدم التى نريدها فى توازن دقيق، بنسب متساوية بين التقدم المعرفي، والتقدم الاجتماعي، والتقدم القيمي، وتقديم النماذج، وضرب المثل، وبيان الطرق والأهداف والغايات والفوائد التى تعود على الناس فى حياتهم الأخروية؛ لأن الناس لا يعتنقون المبادئ والقيم إلا إذا آمنوا بجدواها، ورأوا رأي العين عظيم نفعها.

وبتنمية هذه الأنواع من القيم الدينية؛ الخلقية والروحية والاجتماعية، والتعرف على واقعنا الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي، والثقة بالنفس، والاعتزاز بالانتماء، وتفهم طبيعة العصر ومنجزاته ومستجداته، وما يمكن أن يكون عليه المستقبل، بهذا تستطيع التربية الدينية أن تسهم فى إعداد المسلم المحصن الخلق والقيم التى تدفعه إلى البذل والعطاء فى جميع نواحي الحياة، وتجعله قادرا على مواجهة التحديات أيّا كان نوعها.

خـــاتمـــة

وفـى ختـام هـذا البحـث مـــن المستحســـن أن نـــورد بعـــض التوصيات العامة التى نرى ضرورة مساندتها بالخطط التربوية فهي من أهم عناصر التربيـــة الشـاملة، والتنشـئة الكاملـة التـى نريدهـا لأبنائنـا، ورافد متميز بين روافد عديدة تصب فى بؤرة الإعداد والتوجيه، ومـع ذلك فإنها لا تحقق التربية التـى ننشـدها إلا إذا أمدتهـا أبحـر الحيـاة اليومية بما تفرزه من مناشط عديدة، وتضافرت فـى سـبيل ذلـك كـل الجهات التي لها علاقـة مباشـرة، أو غـير مباشـرة بالعمليـة التعليميـة، وتقديرا لهذه الجهات، وإيمانا بأهمية دورها، وحرصها على التوجيـه والنصح والإرشاد، فإننا نتوجه إليها ببعض الرجاءات نستكمل بها مـا أشرنا إليه من حاجـة الأمـة إلـى تنميـة الأخـلاق ورعايتهـا، وهـى أن نحرص جميعا على ما يأتى:

- التوعيـة الدينيـة الواعيـة، التـى تتنـاول الجوانـب الاجتماعيـة، والمشـاكل الحياتيـة، وطبيعـة سـن الشـباب، وقضايـا العصـر، ومـلء الفـراغ الروحـي لـدى الشـباب، حيـث التـأثير المباشـر،والاسـتجابة السريعة، لتعاليم الدين وقيمه التـى تبـاعد بيـن الشـباب والانحرافـات المختلفة.

- متابعة الجوانب السلوكية لدى المتعلمين، داخل المؤسسـات التربوية وخارجها، ورعايتهم دراسيا واجتماعيا ونفسيا.

- تجديـد وتطويـر المناشـط المختلفـة، وتنوعهـا والتوسـع فيهـا وإمدادها بما يمكن من أدوات ومعدات تمكنها مـن دورهـا الطليعـى

فى التعليم، والتدريب على الممارسة العملية، والخدمة العامة، والإدارة والقيادة، وتحمل المسئولية.

ـ العمل على تكوين اتجاه إيجابى نحو التعلم الذاتى المستمر، وارتياد المكتبات العامة، وتكوين المكتبات الخاصة.

ـ تشديد الرقابة على وسائل الإعلام، وسبل الاتصال، حتى لا يتسرب إلى حياتنا ما يتنافى مع قيمنا المتوارثة، ومبادئنا السامية. ومراقبة الشباب بدقة وحزم.

ـ إعادة النظر فى المناهج الدراسية من وقت لآخر، وفى أساليب القياس، وطرق التقويم، ونظم الاختبارات والامتحانات المعمول بها، وتوجيهها نحو قياس ورصد الآثار السلوكية التى تركتها القيم الأخلاقية المنبثة فى هذه المناهج.

وللّه الحمد أولاً وآخراً.

أهم مراجع هذا البحث

١- **تطوير التعليم، وتحديث المناهج**، خليل إبراهيم، أسبوع التربية السابع، الكويت، ١٩٧٧م.

٢- **المنهج المدرس**: تاليف روبير دوتوان، ترجمة صدقي خطاب، الكويت، ١٩٦٥م.

٣- **تقويم التعليم**، يوسف قطب، مركز المعلومات التربوية بالكويت.

٤- **وقائع ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي فى دول الخليج**، مكتب التربية العربى ، مسقط، ١٩٨٥م.

٥-٦ **مجلة العربي** العدد ٣٧٤ الكويت يناير ١٩٩٠م.

٧- **وثيقة الأهداف العامة للتربية**، الكويت، مارس ١٩٧٦م.

٨- **الكتب المدرسية والرتبية الحياتية**، أبو القاسم رشوان، إدارة المناهج الكويت، ١٩٨٩م.

٩- **الأسس النفسية والتربوية والاجتماعية لبناء منهج اللغة العربية**، د. رشدى خاطر، ندوة الجزائر، ١٩٨٩م.

١٠- **برنامج التجديد التربوي من أجل التنمية**، مكتب اليونسكو، الكويت، ١٩٨٦م.

١١- **التعليم الأساسي**، د. إسماعيل دياب، د. محمد لبيب، الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م.

١٢- **التعليم الأساسي فى الفكر وتجارب التطبيق**، الأمانة العامة لمجلس التعاون الرياض، ١٩٨٧م.

١٣- **دراسة نقدية لأسس بناء مناهج اللغة العربية، والتربية الإسلامية**، د. محمود السيد، ندوة الجزائر، ١٩٨٩م.

١٤- **مفاهيم وممارسات التعليم**، د. صلاح علام، مكتب اليونسكو، الكويت، ١٩٨٦م.

١٥- **المنهج المدرسي**، د. صلاح مجاور، دار القلم، الكويت.